مسرحيـــــة أخناتون

تأليف الأستاذ علي أحمد باكثير

الأستاذ لبيب السعيد

الأستاذ علي أحمد باكثير شاب حضرمي طوّف في الشرق ما طوف ، ثم استقر في مصر يخدم الأدب والعلم . وقد بلوناه حيناً شاعراً له طابعه . وها نحن أولاء نرى فيه كاتباً تمثيلياً وقصاصاً يبشر إنتاجه بأن سيكون له في المستقبل الداني شأن أي شأن .

ترينا هذه المسرحية أخناتون أميراً شاعري الروح ، قضت زوجته (نادو) فكان حزنه عليها فوق الصبر ، وداعياً للالحاد والكفر ، ثم انثنى يتنكر لكل شيء ، ويدرس الديانات والفلسفات مما أخاف كهنة آمون على سلطانهم أن يزول حين يؤتى الأمير الملك

وتزوجه أمه من (نفرتيتي) موهمة إياه أنها (نادو) عادت إليها الحياة ، ويصدق هو ذلك لاعتقاده بإمكانه ، ويسعد بالزوجة الجديدة التي نسخ الحب فيها روح (نادو) ، ثم يضحى الأمير من بعد ملكا رسولاً . ولكن الرسالة التي فهم أن من مبادئها السلام تجني على الملك الذي يقتضي الحرب ، فتنبعث الفتنة في كل مكان ، ويكيد الكهان لأخناتون ، ويمضي هو مع ذلك في إخلاصه للسلم والحب ، فإذا فشل أخيراً وآده اليأس ألحد في ربه ، ثم يدرك وشيكا أن التسامي الشعري غير الواقعية ، وأن لا مناص من السيف وحطم الظلم بالعدل . ويثوب إليه إيمانه وهو يحتضر

توحي هذه المسرحية في ثناياها إلى أن الجمال الباهر والحزن العميق يستطيعان أن يدقا الشعور ويهيئا النفس لتلقي الرسالات

ومن حسناتها اللامعة التفاتها الخاص إلى السيكولوجية : ومن مصاديق ذلك غيرة « نفرتيتي » من مجرد ذكرى ضرتها الميتة ، وأحزان « مي » أم أخناتون على زوجها بعد مماته ، وحنينها المؤثر إلى أيامه ، وغيرتها من كنتها ، وتغير إحساسها نحوها ، وموازنتها بين طاعة ابنها الذي يشفق على قلبها وطاعة زوجها الفقيد طاعة الحب العمياء ، وفزع الكاهن « سادو » من ذكر الثعابين حتى ليكاد من جبنه يحس دبيب الحية في عنقه . هذه وغيرها صور وحالات استمدت جمالها وقوتها من اعتمادها على السيكولوجية

ومن أبرع وألذ ما حوت المسرحية ذكريات الأمير عن « نادو » بعد فجيعته فيها ، ما كان أمضها ذكريات ! ولكن ما كان أعذبها !

ومما يظفر أيضاً من القارىء برضاه واهتمامه شخصية « أمنوفيس » أبي أخناتون ، وما كان فيه من مجانة وطرب ، وفلسفته الظريفة في تذوق اللاحة النسائية ، وتخريجه الساخر لمعنى الوفاء للمرأة ، ثم ما كان في حياة أخناتون مع زوجته « نفرتيتي » من تعاطف رائع وأنس وسعادة ، ثم سذاجة (تاي) المربية المسرفة في إعجابها بزوجها ، والتي تحزن لمرض (أخناتون) الأخير . ولكنها لا تملك إذ تراه يطالع اللانهاية في عيني نفرتيتي ، أن تقول : آه ... يا ليت (آي) يطالع في عيني شيئاً ! وكذلك شجاعة القائد (حور محب) وإخلاصه ، وبلاهة (سمنتارا) وحقارته !

ونزعة المؤلف في الأسلوب تظهر في المسرحية إذ تقرر أن الديانات قد يعوزها أن تحمي نفسها بالسيف ، وإن الركون إلى السلام مفض لا ريب لفقد الممالك وسقوط الدين معاً

ورأي المؤلف في التناسخ طريف وجميل وليس فيه ما يتحرج منه

* * *

وبعد ، فأود أن أصارح صديقي المؤلف أنه كان أولى به أن يدع الأمير (أخناتون) يحدثنا بنفسه عن الآلام التي كان يصطخب بها قلبه في أعماقه بدل أن يحدثنا بها كبير الكهنة

حقاً لقد راقب كبير الكهنة الأمير من بعيد قرابة شهر بحيث يراه ولا يدري مكانه ، فهو يتحدث عنه على ضوء ما شاهد ؛ ولكن هذه المراقبة إن كفلت له الحديث الصادق عن مظاهر أحزان الأمير ، فليست بكافلة له أيضاً الحديث المسموع عن حشاشته التي تسيل زفرات ، وصبره الصامت الذي يكبت من حزنه الصارخ ، ونسيانه يومه وحنينه إلى أمسه الماضي وتفكيره في غده الآتي ووراء غده ، وعن هفو أضالعه ... الخ

وأنا بعد أفهم أن الرسول هو بطبيعته وطوال حياته آخر من تعصف المصائب بإيمانهم ، ولـكن أخناتون الذى تدور المسرحية على كونه رسولاً ، يسرف فى الـكفر : يكفر عند موت زوجته الأولى كفراً هائلاً ، ثم يؤمن حتى يسعد بزوجته الجديدة ، ثم يضطلع برسالته مخلصاً مطمئناً ، فإذا أحس الفشل عاد كافراً يتشكك ، ثم تخر ساعقة بقرب القصر فيزداد كفراً ، وينسى رسالته فى صميمها ، فإذا استمع إلى كلام (حور محب) الذى يحاوره فى براعة ولطف عاد مؤمناً ، فاستغفر لذنبه ، وذكر أنعم ربه ...

وأشخاص الرواية هم أخناتون وأهله ورجال القصر والـكهنة فأين ابن الوطن ؟ أين هو يسمعنا آراءه تلقاء الدعوة الجديدة ، ويرينا موقفه إزاء جهاد الرسول وكفاح الـكهنة ؟

* * *

بقى أن أقول إن الذوق العربى لا يستطيع غالباً أن يسيغ (النظم المرسل المنطلق) المصوغة فيه المسرحية لأنه لم يألفه . والذى أعتقده أن ما عمد إليه المؤلف من إرسال القافية فى أغلب المسرحية وعدم المساواة فى العدد بين تفعيلات الأبيات إخلال بالخواص الجوهرية للشعر العربى لا يحسن اللجوء إليه . والظن أن طريقة كتابة هذه المسرحية وهى على نسق طريقة شكسبير تحمل القارىء على بذل جهـد خاص في القراءة كلما حرص على تفهم المعنى واستساغة النغم الشعرى . وعندى أنه لو كتبت المسرحية كالنثر ، بحيث تتصل الجمل دائماً حتى يستوفى المعنى ، وبحيث تستعمل علامات الترقيم أدق وأوفى استعمال لـكان ذلك أدنى ألا يجهد القارىء فى الاستمتاع بما فى الرواية من بيان ومعان

على أن الإنصاف يقتضينا أن ننوه بالمقدرة الممتازة التى أتاحت للمؤلف صوغ مسرحيته كلها من بحر واحد ، فإن القارئ للمسرحيات الشعرية العربيـة التى سبقت (أخناتون) كان ينتقل فجأة من بحر إلى بحر ؛ فـكان ذلك قاطعاً للذته ومزعجاً لخاطره

ذلك ولأخى المؤلف الناجح شكر مصر القادرة وفاءه وشكر الأدب الذى ينوط به آمالاً كباراً

(المنصورة) لبيب السعيد

نار ... ونفس !!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظَمِئَتْ نَارِى ! وَلِلنَّار كما لِلنَّاسِ خَمْرٌ وَرحيقُ
ولها حَانٌ ، وخَمَّارٌ ، وأقداحٌ ، وإبْرِيقٌ عَتِيقُ
ونداماها أسَى العُشَّاقِ ، والأحزانُ ، والسِّرُّ العميقُ ...

وَبكتْ نفسى ! وَللنَّفس دُموعٌ حَينَ تبكى وَشهيقُ
ولها كالحطَبِ المَشْبُوبِ أزٌّ فى حشاها وحَرِيقُ
ولها كالأفقِ الغَضبان إعصارٌ وَرعدٌ وبروقُ ...

فَسألتُ النَّارَ : مَنْ أظْمَأ يَانَارُ عَلَى قَلبى لَظاكِ ؟
كيْفَ أسْقيكِ ! وأىُّ الخمرِ تَرجُو مِنْ زمانى شَفتاكِ ؟
ما بكأسِى غيرُ نارٍ كالَّتى تَحْمِلُ بلواهَا حَشاكِ !

وَسألتُ النَّفسَ : مَنْ عَلَّمَ دَمْعَ العَين يَجْرِى فِى حِمَاكِ ؟
كيف أسْقيكِ مِن السُّلوانِ والسُّلوانُ مَعْنًى مِن أساكِ ؟
مَا بكأسِى غيرُ دمعٍ أترعَتْهُ مِنْ دَمِى يَوْماً يَدَاكِ !

قَالتِ النَّارُ : فَضحْتَ السِّرَّ ، فَاصْمُتْ ، لاَتُحَدِّثْ عَنْ لَهِيبِى !
إنْ تَـكُن نَارُكَ مِنْ نارِى فَلا تَسْأَلْ عَنِ السِّرِّ الرَّهيبِ
وارْكَبِ الرِّيحَ ، وَخَلِّ الجِنَّ يُسْرِجْنَ لها طَيْرَ الغُيُوبِ
فإذَا شَارَفْتَ عَذْرَائى تُناديكِ عَلَى شَطِّ الغُرُوبِ ،
وَانْسَنِي فى جَذْوةِ الأنفاسِ لاَ تزعجْ لَظى خمرِىَ وَكُوبى

وَهفَا بالنَّفسِ مَا يَهفُو بِغُصْنٍ فِى يدِ الإعْصَارِ يُعْوِلْ
ثم قالت : كَيْفَ عَنْ دمعى ومنكَ الدَّمْعُ يا حَيْرانُ تَسْأَلْ ؟
إنْ أكُنْ فيكَ سَكَنْتُ الجِسْمَ والجِسْمُ تُرابٌ يَتَنَقَّلْ ؟
فأنَا طَيْرٌ بِعرشِ اللهِ لى عُشٌّ وبُسْتَانٌ وَجَدْوَلْ
إنَّمَا أبكى لِهذَا القَفَصِ الدَّاجِى الـكَئيبِ المُتَمَلْمِلْ
لَمْ يَجِد أىَّ عزاءٍ فى وجُودِى ، كَيْفَ يَغْدُو حِينَ أرْحَلْ ؟!

محمود حسن إسماعيل